100 يـوم علـى الحـرب في غـزة : كارثـة إقليمية تلوح في الأفق

كتبه ديفيد هيرست | 14 يناير ,2024

ترجمة وتحرير: نون بوست

ستصادف نهاية هذا الأسبوع مرور 100 يوم منذ أن شنت "إسرائيل" هجومها على غزة، وكانت هناك موجة من التقارير التي تفيد بأن الحرب سوف "تنتقل" إلى مرحلة جديدة، مع عدد أقل من القوات، وقصف أقل، والمزيد من استخدام الضربات "المستهدفة".

ولجعل الأمر يبدو كما لو أن سحب القوات كان عملًا صادرًا عن دولة ذات سيادة، وليس نتيجة لضغوط مستمرة من واشنطن، ادعى الجيش الإسرائيلي أنه انتزع شمال غزة من سيطرة حماس.

ومع ذلك، أثناء انعقاد هذه الإحاطات، أعلن الجيش الإسرائيلي أن ما لا يقل عن 103 جنود أصيبوا في القتال خلال الـ 24 ساعة الماضية. وبعد ذلك بيوم أعلن الجيش مقتل تسعة جنود. وفي الفترة نفسها؛ أعلنت وزارة الصحة في غزة أن 126 فلسطينيًّا استشهدوا في الهجمات الإسرائيلية، وقالت الوزارة إن 147 آخرين قتلوا خلال الـ 24 ساعة الأخيرة.

هناك تناقض يلوح في الأفق؛ حيث إن الخسائر التي يتكبدها الجيش الإسرائيلي

والمدنيون الفلسطينيون في غزة بشكل يومي تتعارض مع ادعاءات بحرب جديدة "أقل حدة". والتفسير الأكثر وضوحا للخسائر البشرية هو أنه بعد مرور 100 يوم، تدور الحرب بنفس الشراسة التي كانت عليها في اليوم الأول، حماس لا تلوح بالعلم الأبيض.

وقد صحح يوآف غالانت، وزير الدفاع الإسرائيلي وعضو مجلس الوزراء الحربي المكون من ثلاثة أعضاء، الادعاء بأن جيشه قد فرض سيطرته على الشمال بإضافة عبارة "على الأقل فوق الأرض". حسنًا، ربما يقول ذلك.

إذن ما الذي حققته "إسرائيل" نتيجة لإلقاء كامل قوتها الجوية وجيشها على غزة، بغض النظر عن التكلفة في أرواح المدنيين، ومع النية الكاملة لجعل الأرض غير صالحة للسكن لسكانها الذين يبلغ عددهم 2.3 مليون نسمة؟

كان لدى حكومة الحرب ثلاثة أهداف في هذه الحملة: محو حماس من على وجه الأرض، بغض النظر عن مصير الرهائن المحتجزين؛ وتغيير التوازن الديموغرافي غير المواتي بين اليهود والعرب من خلال إجبار أكبر عدد ممكن من الفلسطينيين على الخروج من غزة؛ وتغيير المشهد حتى لا تتمكن أي جماعة مسلحة أخرى من القيام مرة أخرى بما فعلته حماس في 7 أكتوبر.

كيف كان أداؤها في كل هدف؟

هل حققت "إسرائيل" أهدافها العسكرية؟

من الواضح أنه لا، فوفقًا لرواية غالانت؛ حيث حذر من فترة أطول من القتال في المستقبل، ولم يتم إطلاق سراح سوى رهينة واحدة على قيد الحياة خلال العملية العسكرية الإسرائيلية، وهي أوري مغيديش، التي قالت "إسرائيل" إنها أنقذتها خلال العمليات البرية، على الرغم من وجود خلاف حول ما إذا كانت "حماس" "أطلقت سراحها" أو "أطلقت إسرائيل سراحها" فعليًّا خلال عملياتها.

ولكن ماذا عن تفكيك شبكة الأنفاق التي تشكل العمود الفقري للبنية العسكرية لحركة حماس، المحظورة كمنظمة إرهابية في المملكة المتحدة ودول أخرى؟

لقد دخل الجيش الإسرائيلي في هذه العملية وهو يمتلك القدرات الأكثر تقدمًا في اكتشاف ورسم خرائط وتدمير الأنفاق مقارنة بأي جيش في العالم. ومع ذلك؛ يبدو أنه قد غمره حجم المهمة، حيث تدخل الوحدات المتخصصة في هذه العملية سلسلة من الفخاخ المتفجرة.

وكما كتبت دافني ريتشموند باراك، الأستاذة المساعدة في كلية لودر للحكم والدبلوماسية والاستراتيجية بجامعة ريشمان في "إسرائيل"، في مجلة فورين أفيرز: "لقد كشفت هذه الوحدات أيضًا عن جيل جديد من أنفاق حماس؛ حيث تم تعزيز الهياكل البدائية للمجموعة في أوائل العقد الأول من القرن الحادي والعشرين بألواح خشبية. والشبكات الحالية أعمق وأكثر صلابة، وتشبه

أنفاق التسلل الكبيرة في كوريا الشمالية، واستخدمت حماس تقنيات حفر مدنية متقدمة لحفرها، رافعة بقدراتها الجوفية إلى المستوى التالي".

"إن اعتماد حماس المتزايد على الأنفاق وجهود البناء المتقنة قد أتى بثماره، فلم يسبق في تاريخ حرب الأنفاق أن تمكن أي مدافع من قضاء أشهر في مثل هذه الأماكن الضيقة. إن الحفر نفسه؛ والطرق المبتكرة التي استخدمت بها حماس الأنفاق، وبقاء الجماعة تحت الأرض لفترة طويلة كانت غير مسبوقة".

إنه ثناء كبير حقا، ولكن ما فشلت دافني ريتشموند باراك في الإشارة إليه هو مدى شبكة الأنفاق التي تمتد، كما قيل لي، لمئات الكيلومترات، وربما يفسر هذا السبب وراء إطلاق وابل جديد من الصواريخ على تل أبيب، بعد منتصف الليل مباشرة في بداية العام الجديد.

بعد مرور مائة يوم على أعنف قصف جوي شهده العالم منذ قصف الحلفاء لدريسدن وهامبورغ وطوكيو في الحرب العالمية الثانية، احتفظت حماس بقدرتها على القتال وإلحاق الخسائر بالدبابات والجنود الإسرائيليين.

هناك الآن بعض الحساسية في "إسرائيل" بشأن حجم الخسائر التي تتكبدها. فبعد التقارير المتواصلة عن ارتفاع عدد الجنود المصابين؛ أنشأ الجيش الإسرائيلي صفحته الخاصة على الإنترنت، والتي تشير حاليًا إلى مقتل 186 جنديًا منذ بداية الهجوم البري، ويشير الموقع أيضًا إلى أن حوالي 2500 جندي أصيبوا منذ بداية الحرب.

الصورة الحقيقية أسوأ؛ حيث ذكرت صحيفة يديعوت أحرونوت أنه من المتوقع أن يتم الاعتراف بما لا يقل عن 12500 جندي على أنهم معوقون نتيجة للعمليات في غزة. وقالت شركة استأجرتها وزارة الدفاع إن هذا الرقم قد يكون متحفظا، مشيرة إلى أن عدد الحالات التي تطلب الاعتراف بالإعاقة قد يصل إلى 20 ألف حالة، وهناك 60 ألف جندي يخضعون حاليًا لإعادة التأهيل.

هل أجبرت "إسرائيل" على النزوح من غزة؟

وأياً كان القرار الذي ستتخذه محكمة العدل الدولية في لاهاي بشأن دعوى جنوب أفريقيا بأن "إسرائيل" مسؤولة عن الإبادة الجماعية، فمن المؤكد أن "إسرائيل" خلقت كارثة إنسانية في غزة؛ وقد فعلت ذلك عن عمد.

وخلص تقرير للأمم المتحدة تم إعداده في كانون الأول/ديسمبر، باستخدام أدلة من 17 وكالة مختلفة، إلى أن 80 بالمائة من جميع الأشخاص في العالم الذين يعانون من حالة جوع كارثية موجودون في غزة الآن.

وحتى لو توقفت الحرب غدًا؛ فإن غزة أصبحت موطناً للوباء، حيث أفادت منظمة الصحة العالمية

أنه في المتوسط، هناك حمام واحد لكل 4500 شخص ومرحاض واحد لكل 220 شخص. وبجمع كل هذا معًا؛ وبعد عام من الآن، يمكن أن يكون معدل الوفيات أكبر بعدة مرات مما كان عليه في ذروة الحرب الخاطفة.

كان جيورا آيلاند، الرئيس السابق لمجلس الأمن القومي الإسرائيلي ومستشار الحكومة، من الحماقة إلى الحد الذي جعله يترجم إستراتيجية حكومة الحرب إلى كلمات، وقال آيلاند إن قطع المياه والكهرباء والديزل عن غزة ليس كافيا.

وفي التعليقات التي تم الاستشهاد بها كدليل أمام محكمة العدل الدولية على نية الإبادة الجماعية؛ كتب آيلاند في مجلة على الإنترنت: "من أجل جعل الحصار فعالاً، علينا أن نمنع الآخرين من تقديم المساعدة لغزة... يجب أن يقال للناس أن أمامهم خيارين؛ البقاء والتضور جوعا، أو المغادرة".

لقد نجحت "إسرائيل" في خلق كارثة إنسانية في غزة، ولكنها فشلت حتى الآن في خلق النزوح الجماعي للفلسطينيين الذي يرغب فيه الأصوليون الصهاينة بشدة. من المؤكد أن بعض الرعايا الأجانب قد غادروا غزة، كما فعل المرضى الذين يعانون من أمراض خطيرة. ولكن بشكل عام؛ لم تكن هناك محاولات لاقتحام الحدود مع مصر في رفح، ولا يوجد حتى الآن أي دليل على وجود ثورة شعبية ضد حماس.

استمعوا بدلًا من ذلك إلى ما تقوله هناء أبو شرخ، وهي تعيش في خيمة خارج منزلها المدمر، وهي تشكل جزءًا من طابور طويل للحصول على المياه العذبة، والتي غالبًا ما تنفد عندما يحين دورها: "في كل مرة أقوم فيها بشيء ما، مثل الاغتسال أو إعداد الطعام أو جمع الحطب، أتذكر ما كان شعبنا يخبرنا به عن كيفية نفيهم وكيف كانوا يعيشون. كنت أجد أنه من الغريب أنهم كانوا يعيشون في الخيام، أما الآن فأنا أعيش في خيمة ... ليس من السهل أن تترك أرضك أو منزلك، وليس من السهل أن تنفي ... انظر، هذه هي الأرض التي أنت فيها تقول: "لقد ولدتُ ونشأتُ فيها. ومن الصعب أن ننسى ذلك".

وأضافت: "أظل أقول: متى سأعود إلى منزلي؟ رغم أنه مدمر، فهذه الخيمة سأحتفظ بها خارج منزلي حتى يخفف الله عني هذه المشقة وأتمكن من إعادة بنائها، لا أحد يغادر منزله فقط من أجل خطة دنيئة، ما يسمى بخطة إسرائيل الكبرى. وأين نحن؟ هل نحن شعب بلا أرض كما قالوا؟ من أجل أرض بلا شعب؟ لا. هم من يجب أن يغادروا، وليس نحن".

ووجهت هذا التحذير لإسرائيل: "لقد نفيتمونا في عام 1948 وفي عام 1967، وتريدون نفينا مرة أخرى في عام 2023؛ هذا يكفي. سأعزي نفسي وأقول لنفسي إنني لست منفية، وما زلت في أرضي".

إذا كان هناك صوت يصف إصرار الفلسطينيين على البقاء في الجحيم الذي خلقته "إسرائيل"، فهو صوت أبو شرخ.

هل أعادت "إسرائيل" رسم خريطة الشرق الأوسط؟

هذا هو الهدف الأكثر طموحًا من بين أهداف مجلس الوزراء الحربي، ولكن مع تطور الحرب، فهو أيضًا الهدف الأكثر اتساقًا معه. قال بنيامين نتنياهو، رئيس الوزراء الإسرائيلي المحاصر، في غضون ساعات من هجوم 7 أكتوبر/تشرين الأول إن "إسرائيل" ستغير وجه الشرق الأوسط، وقد تكرر هذا الشعور بشكل متكرر منذ ذلك الحين، وليس أقله من قبل غالانت.

قبل الزيارة الأخيرة التي قام بها وزير الخارجية الأمريكي أنتوني بلينكن لإخماد نيران الحرب الإقليمية، أشار غالانت إلى ما وصفته صحيفة وول ستريت جورنال بأنه تحول دائم في الموقف العسكري الإسرائيلي؛ حيث قال غالانت: "وجهة نظري الأساسية هي أننا نقاتل محورًا، وليس عدوًّا واحدًا، حيث إن إيران تبني قوتها العسكرية حول إسرائيل من أجل استخدامها".

إن كلمات غالانت، وكلمات كثيرين غيره، من الممكن أن تدفع المرء إلى الاعتقاد بأن الحرب التي تهدف إلى دفع ألوية النخبة في حزب الله إلى شمال نهر الليطاني، وبعيدًا عن الحدود الشمالية لـ"إسرائيل"، هي مسألة وقت، وليس مسألة احتمال حدوثها.

رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو ووزير الدفاع يوآف غالانت يحضران مؤتمرًا صحفيًّا في تل أبيب، 28 تشرين الأول/ أكتوبر 2023

وهذا يعني أيضًا أن الحرب مع إيران قد تتبعها بعد فترة وجيزة. ولكن ليس بعيدًا تحت سطح الخطابة العسكرية الإسرائيلية، هناك قدر أعظم من التردد، بل إن قدرًا أقل من اليقين بقدرة

الجيش على إنجاز المهمة في لبنان مقارنة بما يستطيع فعله في غزة.

وكأن هدف الحرب هذا هو حقيقة على الأرض، فبينما كان بلينكن يطير إلى المنطقة للمرة الرابعة لمنع حدوث هذا الشيء بالذات، نفذت "إسرائيل" عمليتين: اغتيالات مستهدفة على أرض حزب الله.

لم يكن لدى الرجل الثاني في قيادة حماس، صالح العاروري، أي إنذار مسبق بالهجوم الذي وقع في 7/تشرين الأول، مثل أي عضو آخر في حماس خارج غزة. ومع ذلك؛ تم استهدافه بهجوم صاروخي على مكتبه في الضاحية المكتظة بالسكان، فقلب بيروت الجنوبية في ساعة الذروة، وتعتبر المنطقة منطقة أمنية لحزب الله.

واعتبر اغتياله واغتيال وسام الطويل، نائب رئيس وحدة في قوة الرضوان النخبوية، بمثابة ضربات لحزب الله. وكانت الرسالة التي أرادت "إسرائيل" إرسالها إلى أقوى ميليشيا على حدودها هي أنها تستطيع ضرب الجماعة في معقلها.

لا مفر من الاستجابة الإقليمية

في وقت سابق من الحرب؛ قال الزعيم حسن نصر الله إن حزب الله لم يكن طرفًا في هجوم حماس، لكنه أشار إلى أن هدف حرب "إسرائيل" المتمثل في القضاء على حماس سيكون خطًّا أحمر سيؤدي لمزيد من تورط حزب الله في الصراع.

وبعد مقتل العاروري؛ تعهد نصر الله بالانتقام في خطاب ألقاه بمناسبة الذكرى الرابعة لمقتل الجنرال الإيراني قاسم سليماني، لكنه أبقى على رسالته الأساسية بشأن الخطوط الحمراء لحزب الله.

وردًّا على مقتل العاروري؛ ضرب حزب الله قاعدة جبل ميرون الجوية الإسرائيلية في الشمال بـ 62 صاروخًا؛ وبعد مقتل الطويل، شنت هجوماً بطائرة بدون طيار على القيادة الشمالية لـ "إسرائيل". وهذه أهداف عسكرية ذات قيمة عالية، وكان حزب الله يرسل رده الخاص إلى "إسرائيل" بشأن دقة وتعقيد المدى العسكري للحزب، وقد أوضح حزب الله وجهة نظره.

ولكن لا يوجد أي مكابح لما يحدث في أماكن أخرى؛ حيث كان سليماني مهندس محور المقاومة، الذي بدأ الانخراط في الرد على الحملة الإسرائيلية في غزة.

وأجبر الحوثيون في اليمن، بعد أكثر من عشرين هجومًا على السفن الغربية التي تمر عبر مضيق باب المندب، مئات من سفن الحاويات على التحويل من قناة السويس. وفي العراق؛ بعد أن استهدفت الغارات الجوية الأمريكية أعضاء الميليشيات المحلية، أعلن رئيس الوزراء محمد شياع السوداني على الفور أن حكومته ستغلق جميع القواعد العسكرية الأمريكية في العراق، وهو الهدف الرئيسي لإيران منذ مقتل سليماني.

حرب الاستنزاف على حدود "إسرائيل" أصبحت محسوسة. وهذا يترك الولايات المتحدة وبريطانيا؛

القوتين اللتين تتحملان المسؤولية الأكبر عن المذبحة في غزة، مع القليل من الأوراق التي يمكن لعبها، والوقت ينفد بسرعة.

وينفد الوقت أيضًا أمام المتفرجين البائسين الذين دعموا بشكل كامل الحرب الانتقامية التي تشنها "إسرائيل"، من خلال إمدادها بالقنابل والقذائف التي استخدمتها "إسرائيل" لتسوية غزة بالأرض، وكلاهما من خلال وقف المحاولات الدولية لفرض وقف فوري لإطلاق النار، واستهداف الحوثيين في اليمن بضربات جوية.

إن الأداء المؤسف الذي قدمه وزير الخارجية البريطاني ديفيد كاميرون، في ظل الفحص الدقيق الذي أجرته لجنة الشؤون الخارجية، كشف بالكامل عن الثغرة الأخلاقية والقانونية التي دخلت إليها بريطانيا، عندما سمحت لـ "إسرائيل" "بخلع قفازاتها" في غزة. ولم يتمكن كاميرون ـ أو لم يرغب ـ من الإجابة عما إذا كان محامو الحكومة قد نصحوه بأن التصرفات الإسرائيلية في غزة تشكل جرائم حرب.

الطلقات الافتتاحية لحرب أكبر

لقد تهربت الأنظمة العربية، ودول الخليج على وجه الخصوص، من أي دور قيادي ضد تصرفات "إسرائيل". والمسؤولون الأكبر هم السعوديون، الذين جرت تحت رعايتهم آخر محاولة جادة لإنهاء الصراع من خلال مبادرة السلام العربية في عام 2002، ولكن الرياض لا تستطيع أن تنظر إلى ما هو أبعد من قدرتها على البقاء. فهي تنظر إلى حماس باعتبارها تهديدًا لخططها الخاصة للمطالبة بقيادة العالم السني من خلال تطبيع العلاقات مع "إسرائيل".

وكان الهجوم الذي شنته حماس؛ والمقاومة الشرسة منذ ذلك الحين، بمثابة نموذج منافس ـ وهو النموذج الذي كان من المعتقد أنه مات ودُفن ـ للوحدة العربية. ويرتبط هذا ارتباطًا وثيقًا بالثورات الشعبية التي اندلعت خلال الربيع العربي، والتي أمضت المملكة العربية السعودية والإمارات العربية المتحدة ومصر في قمعها عقدًا من الزمن.

في نظر العقل العقلاني، فإن التخلص من عش الدبابير هذا الذي يتألف من جماعات الميليشيات المدججة بالسلاح والمستقلة إلى حد كبير والمتمرسة في القتال، والتي تعيش جميعها في دول ضعيفة وعلى مسافة قريبة من حدود "إسرائيل" الشمالية والشرقية، هو آخر شيء ينبغي على المؤسسة الدفاعية الإسرائيلية أن تفعله.

ليس لديهم القوات اللازمة للقتال على ثلاث جبهات في وقت واحد. فـ"إسرائيل" صغيرة للغاية، ومراكزها السكانية معرضة للغاية للهجمات الصاروخية، ولا يبالغ نصر الله عندما يقول إن "إسرائيل" ستكون أول من يدفع الثمن إذا اندلعت حرب شاملة.

جندي إسرائيلي يرتدي رقعة على الجزء الخلفي من سترته تظهر زعيم حزب الله حسن نصر الله كهدف، في شمال إسرائيل في 4 كانون الثاني/يناير 2024

وقال ضابط كبير سابق في الجيش الإسرائيلي وأمين المظالم في وزارة الدفاع، اللواء (احتياط) يتسحاق بريك، مؤخراً، إن آلاف الصواريخ والقذائف يمكن إطلاقها يومياً على المراكز السكانية، وقواعد الجيش، والبنية التحتية للكهرباء والمياه: "الجميع يعرف هذا، ليس فقط نصرالله؛ نحن نعرف هذا، وهم يعرفون ما لديهم، نحن لم نستعد لهذا"، كما أنهم لن يدفعوا الولايات المتحدة إلى دعم الهجوم ضد إيران.

إن القيام بكل هذا، مع التخلص من علاقة "إسرائيل" مع روسيا بسبب الحرب في أوكرانيا، هو قمة الحماقة.

وبعد أن أدى هجوم صاروخي إسرائيلي الشهر الماضي إلى مقتل سيد رضا موسوي، أحد كبار قادة فيلق القدس التابع للحرس الثوري الإيراني في سوريا، تم طرح أسئلة في طهران حول سبب عدم نشر الروس نظام S-300 الخاص بهم لحماية المستشارين الإيرانيين في سوريا؛ حيث ينتظر الرئيس الروسي فلاديمير بوتين، وما زال لديه أوراق للعب في سوريا.

لكن "إسرائيل" لا تتصرف بعقلانية؛ حيث يعرف نتنياهو أنه سينتهي في اللحظة التي تتوقف فيها الحرب. فالجمهور الإسرائيلي، حتى بعد مائة يوم، لا يستطيع الحصول على ما يكفي من الدماء الفلسطينية لتلبية مطلبه بالانتقام، وأغلبية واضحة تريد تسوية غزة بالأرض.

لا توجد حركة مناهضة للحرب، وما تبقى من الجناح اليساري في "إسرائيل" قد فر أو يفر إلى الخارج. وفي الوقت نفسه؛ تمتلئ الشوارع والمقاهي والأسواق بالإسرائيليين اليهود المسلحين بالبنادق، فيما لم يشعر المواطنون الفلسطينيون في "إسرائيل" قط بالوحدة أو الضعف مثلما يشعرون الآن.

هل يمكن لأي من هذا أن يصنَّف على أنه إنجاز لأي شخص يفكر بعقلانية؟ إذا كان هناك أي شيء، فإن هذه الأيام المائة تبدو وكأنها الطلقات الأولى لحرب أكبر وأطول بكثير، والتي ستكون كارثية على الجميع؛ اليهود والعرب على حد سواء.

وفيما يتعلق بالولايات المتحدة و"إسرائيل"، الخصمين الرئيسيين لهذه الحرب، لم يعد الأمر يتعلق بأعمى يقود أعمى، بل إنه الضعيف إستراتيجيًّا الذي يقوده الغاضبون تكتيكيًّا.

يوم الخميس؛ قصفت الطائرات الحربية الأمريكية والبريطانية مواقع الحوثيين في اليمن، وهي ضربة سيكون الحوثيون قادرين على تحملها، بعد أن نجوا من سبع سنوات من القصف من قبل المملكة العربية السعودية.

وستتبع ذلك حرب إطلاق نار في البحر الأحمر، وهذه هي نتيجة أسبوع من الدبلوماسية الأمريكية التي حاولت الحد من نشوب حرب إقليمية من خلال الكثير من أجل الدبلوماسية أولاً.

إن المسار الذي تقوده "إسرائيل" إلى إسقاط الولايات المتحدة يؤدي إلى النسيان المتبادل في الشرق الأوسط، ومن الممكن أن تكون الحرب التي تشنها "إسرائيل" على غزة بمثابة نهاية للرئيس الأمريكي.

المصدر: ميدل إيست آي

رابط المقال : https://www.noonpost.com/192013/